

## إدمند هسّرل: أصل الزمان وتكوّنه

مايكل أندروز

تعريب: محمود يونس

الكلمات المفتاحية: الزمان؛ الفينومولوجيا؛ البهجة؛ الإدراك؛ الأنا؛ الوقت.

### تمهيد

يقتضي التأويل الفينومولوجي للزمان جهداً خاصاً إذ لم تفرد المنظومة الفينومولوجية "فئة" خاصة في موضوعه. أمّا موضوعه، فينومولوجياً، بالطبع، فهو الفينومولوجيا الترسندنتالية، أي، بنية كلّ شرط لإمكانية المعرفة. بالتالي، تمحور سؤال أصل الزمان وتكوّنه، كما برز في مشروع هسّرل الذي امتدّ على مدى 30 عامًا (تقريباً، من العام 1900-1930)، حول التصورات المختلفة للزمان؛ حول التجارب المعيشة التي يتبدّى فيها الزميّ بمعناه الموضوعي. هنا نجد ضرورة أن نكون واضحين تمامًا فيما يخصّ الغرض الملائم لمبحثنا. فهسّرل لا يريد من تعاطيه في أصل الزمان وتكوّنه الزمان الموضوعي. هو واضح تمامًا في ذلك، خاصةً في محاضراته التي ألقاها عام 1905، والتي صدرت لاحقاً تحت عنوان "فينومولوجيا الوعي الذاتي بالزمان *The Phenomenology of Internal-Time Consciousness*"،

إنّ المرّة لا يجد أدنى آثار الزمان الموضوعي [أي، الكرونولوجي أو "الكويّ cosmic"] من خلال التحليل الفينومولوجي.

ف'الحقل الزميّ الفطري' ليس، بأيّ شكل من الأشكال، جزءاً من الزمان الموضوعي<sup>1</sup>.

السؤال الذي 'ينتاب' تحقيقنا، إذًا، هو ما يلي، "هل تقودنا ظاهرة الزمان إلى كلفة بنية وجودها؟ أم هل نصل من أصل الزمان وتكوّنه إلى فهم مفاده أنّ كلفة الزمان، بالمبدأ، متعدّرة الإحراز؟ بكلام آخر، كيف لتوصيف هسّرل لأصل الزمان أن يبيّن البنية الأساسية لكلّ اختبار ممكنة؟ وبأيّ المعاني يحتم وصف تكوّن الزمان العودة إلى المعطيات الفينومولوجية حيث كلّ ما يُختبر يتشكّل فنومولوجياً؟

---

<sup>1</sup> Edmund Husserl, *The Phenomenology of Internal Time-Consciousness*, ed. Martin Heidegger, trans. James

Churchill (Bloomington, IN: Indian University Press, 1964), pp. 24. [لاحظ أنّ مارتن هايدغر هو الذي قام بتحرير

كتاب هسّرل هذا وللأمر دلالاته؛ المعرب].

## 1. مسألة الزمان كموضوع لأعمال هسّرل

عبّر هسّرل نفسه عن هذه المعضلة بغير نحو في كتاباته المختلفة. فقد ظلّت مسألة الزمان محورِيَّةً في فكره بدءًا بكتابه 'تحقيقات فلسفيّة *Logische Untersuchungen*'<sup>2</sup> وانتهاءً بمقالته الشهيرة في الموسوعة البريطانيّة *Encyclopedia Britannica*. حتّى أنّه نظر إلى مسألة السيكلوجيا الفنونولوجيّة وعلاقتها بالفنونولوجيا الترنسندناليّة من خلال تكوّن الزمان. وتصير المسألة ملحّةً بشكل خاصّ في ضوء سياق نقاشات المفكرين الألمان في العقود الأولى من القرن العشرين. قد نستطيع أن نلاحظ، على سبيل المثال، نشر ألبرت أينشتاين (1879-1955) *Albert Einstein* لنظريّته في النسبيّة العامّة سنة 1915 إثر تقديم هسّرل للفنونولوجيا الترنسندناليّة، في كتابه 'أفكار *Ideen*'، قبلها بستين. في الأفكار، يحاول هسّرل التشادّ مع مشكلة الزمان على ضوء البنية الترنسندناليّة للوعي. وهو يستقصي، مجدّدًا، موضوعة الفنونولوجيا الترنسندناليّة عن طريق "فنونولوجيا إدراك الأجسام" في مقالة الموسوعة البريطانيّة التي استغرقت خمس مسودّات - ما بين أيلول 1927 وشباط 1928<sup>2</sup> - إلى أن أقرت. في هذه المقالة، يلفت هسّرل إلى أنّ الاختزال الفنونولوجيّ "يكشف عن ظاهرات الاختبار الذاتيّ الفعليّ"، وهذا تذكير واضح بنظريّته في الوعي الذاتيّ بالزمان التي أذاعها في محاضرات عام 1905.

يظهر الزمان الفنونولوجيّ، بعكس الزمان السيكلوجيّ، كلّ الصّور الجوهريّة التي تحدّد الواقع الماديّ. ولأنّ الفنونولوجيا الترنسندناليّة هي نظريّة أكثر نضجًا في الما قبلّيّ *a priori*، فإنّ الفنونولوجيا الماهويّة eidetic phenomenology شرط لا بدّ منه لقيام الفنونولوجيا السايكلوجيّة. وبما أنّ الموضوعيّة التحريبيّة تتضمّن كلّ متعال، المحتوى المعاش والمختبر للزمان والمكان الموضوعيّان ضمّنًا، فإنّ الوصف الفنونولوجيّ لمنشأ ومصدر الزمان يبدأ بتعليق كلّ حكم حول العالم الموضوعيّ للأشياء والأحداث الحقيقيّة [*epoché*]. هكذا إذًا، ينبؤنا إلحاح هسّرل الحرون على

<sup>2</sup> بتعديلات بسيطة فحسب، ظلّت النسخة 14 من مقالة هسّرل في الموسوعة البريطانيّة مطبوعهً منذ عام 1929 إلى عام 1974.

انظر، رجاءً، "The History of the Reduction of *The Encyclopaedia Britannica* Article," Thomas Sheehan, *Edmund Husserl Collected Works VI*. (Dordrecht: Kluwer Academic Publishers, 1997), pp. 36-37.

ضرورة الاختزال الترنسندنتاليّ (منذ ما بعد كتاب أفكار – 1913) بمراجعة جريئة لعدد من المشاكل التي لم تجد لها حلًّا في محاضرات عام 1905 حول الوعي الذاتيّ بالزمان.

برأيي أنّ ما أورده هسّرل في كتاب 'أفكار' وفي مقالة الموسوعة، بالإضافة إلى محاضرات عام 1905، يخون مدىّ واسعًا من الآراء المعقّدة التي كان هسّرل ما يزال يتنازع معها منذ أن تعرّف على مشكلة الزمان أوّلًا على يدي برنتانو (1883-1917). ففي محاضراته حول الوعي الذاتيّ بالزمان، هو يبدأ بوصف تحليل وعي الزمان [الوعي بالزمان] ك"مفصل قديم وصعب في السيكولوجيا الوصفية ونظرية المعرفة". وعلى خلفيّة الكتاب الحادي عشر من 'اعترافات Confessions' أوغسطين، وتحاليل برنتانو غير المنشورة، فإنّه يشبّهه، بإيجائية عالية، مسألة الزمان ب"أكثر المشاكل صعوبةً وتضمّنًا للتناقضات والتعقيدات"<sup>3</sup>.

إنّ مبحثي ها هنا يبني على أساس تفسير هسّرل الفنونولوجيّ لأصل الزمان وتكوّنه.

## 2. إقصاء *Ausschaltung* الزمان الموضوعي

يبدأ هسّرل محاضرات 1905 بتحديد مهمّته الإجمالية في عرض تحليل فنونولوجيّ لوعي الزمان (في مقابل العرض السيكولوجيّ المجرد). هو يستهلّ مشروعه، إذًا، بإقامة تمييز هامّ بين "الزمان الفنونولوجيّ" و"الزمان الموضوعيّ" (أو "الكويّ"). من ناحية، ينطوي الزمان الموضوعيّ على كلّ التمايزات الزمنية، أي على كلّ الأشياء الجسدانية والذهنيّة بخصائصها المادّية والذهنيّة. فكلّ ما هو موجود بالمعنى الحسيّ ويمكن تحديده بقياسات كرونولوجيّة هو من مقتضيات الموضوعيّة. هذا ما يتضمّن كلّ خبرتنا، ومنها الأحداث والعلائق والحالات وأشكال الظهورات الزمانيّة والمكانيّة، والمعطيات الحسيّة، وغيرها. ولأنّ الزمان الموضوعيّ يتضمّن الموضوعيّة الفرديّة بشكل عامّ، فإنّ هسّرل يلحظ أنّ الموضوعيّة تتشكّل في الوعي الذاتيّ بالزمان وهي، بالتالي، تنتمي إلى سياق الموضوعيّة التجريبيّة.

أمّا من ناحية أخرى، فإنّ المحتوى الفنونولوجيّ للخبرة المعيشة – ما يسمّيه هسّرل الخبرة بالزمان *Zeiterlbnisse* – يقتضي إقصاء كلّ خبرة معيشة، حتّى تلك المرتبطة بإدراك الزمان وتمثله *Vorstellung*. ما يرمي إليه هسّرل في قوله الزمان الفنونولوجيّ، إذًا، هو صورة أو صبرورة لا بدّ منها لربط الخبرات بالخبرات. ويعتبر، متابعًا

<sup>3</sup> Husserl, pp. 21, 22.

برنتانو، "الزمن الفنونولوجي" جدولاً حياً من الخبرة *Erlebnis*. مع هذا، وبالرغم من كون كلّ خبرة زمنية أو مكانية تتشكّل بحسب الاشتغال على بداية ونهاية، فإنّ الجدول بنفسه خارج كلّ تشكّل.

فلنأخذ، على سبيل المثال، خبرة 'البهجة'. ففي حين يمكن تعليق [epoché] ظهور الخبرة-نفسها واستقصاؤها على ضوء بنيتها الماهوية، فإنّ جدول الخبرة الواعية لا يمسّ. إنّ خبرات البهجة ترتفع وتلاشى بحسب عوامل شتى، من قبيل المدّة والشدّة والنوعيّة. لكن في حين تأخذ النزعة السيكولوجية psychologism موضوع البهجة بسذاجة ككيان مُعطى، أي كنقطة انفصال مفترضة مسبقاً لكلّ سؤال، فإننا بحاجة إلى التفكير في تشكّل الموضوعي الذي بحسبه تتشكّل البهجة (أو أيّ خبرة أخرى). ليس موضوع مبحثنا، إذًا، الخبرة الإمبريقية بالبهجة (أو السعادة أو أيّ شيء آخر)، بل هو الزمان المحايث لجريان الوعي.

يبدو لي أنّ ما يقترحه هسرل هو أنّ فكرة الوعي الذاتيّ بالزمان نفسها تفترض الجريان المحايث لذلك الذي يجعل كلّ خبرة ممكنة أصلاً، أي، الزمان الفنونولوجي بما هو البنية الترتيبية لكلّ الحركة الواعية. إذًا، إنّ جدول الخبرة الحيّ يستمرّ بعيداً عن كلّ المعطيات والإشارات الزمنية، وبغضّ النظر عن كيفية إدراك أو فهم هكذا معطيات زمنية. ما يتغيّر هنا ليس المعطى الفنونولوجي الذي من خلال إيقانه الإدراكيّ الإمبريقيّ empirical apperception تتشكّل العلاقة مع الزمان الموضوعي، بل هو ظهور الوقت، والشدّة، والكيفية بما هي كذلك. ما يظلّ ثابتاً، بالتالي، هو الزمان المحايث للخبرة الذاتية،

ما نقبله... ليس وجود زمان-العالم، أو وجود الوقت المحسوس، أو ما شاكل، بل الزمان والوقت كما يظهران كزمان ووقت. على أنّ هذه معطيات مطلقة من العبث مساءلتها. بلا ريب، نحن نفترض زماناً موجوداً؛ إلاّ أنّه ليس زمان عالم الخبرة بل هو الزمان المحايث لجريان الوعي<sup>4</sup>.

إنّ مشكلة تكوّن الزمان تُصاغ عند هسرل بلغة المحايثة، ولا تنحصر بمحاضرات 1905، بل تتردّد بعد عشر سنوات في 'اكتشافه' (هسرل) للأنا الترتيبية في كتاب 'أفكار'. ككائنات زمنية، فإنّ كلّ خبرة هي خبرة بالأنا المجردة أو الترتيبية. بالتالي، ففي إمكانية الأنا أن توجه نظرهما الشخصية المجردة إلى هذه التجربة أو تلك، وقد تدركها على أنّها كائنة حقاً، أو على أنّها ديمومة في الزمان الفنونولوجي. بالرغم من ذلك، فإنّ ما يعرض كنتيجة لإقصاء

<sup>4</sup> المصدر نفسه، الصفحة 23.

الاختزال الترتسندنتالي للزمان الموضوعي هو ما يرتبط بالوجود الأساسي للموضوع قيد التمحيص. فيما يخص هسرل، فإن اكتشاف الاختزال الترتسندنتالي يؤدي دور هرمنوطيقا ترقبية ما. العالم لا يظهر فحسب. بل هو يُدرك بالوعي بواسطة فعل تأويلي. في واقع الأمر، إن فعل الإدراك التأويلي هو الذي يشكّل العالم بما هو "عالم".

في حين تصف نظرية القصدية intentionality كيف يُعطى العالم بما هو عالم، فإنها ليست ملائمة بشكل كاف لتفسير كيفية كون الزمان صيرورةً أو عمليةً تتشكّل بها الأشياء بالمطلق. بالفعل، فكلّ تجربة تأتي الوعي عن طريقين. أولاً، يدرك الوعي كلّ تجربة فعليةً أو ممكنة تحت عنوان التعاقب الزمني. هذا ما يعني أنّ الخبرة تتشكّل على اعتبار الوحدة الكلية لجدول الوعي الزمني الذي يهب الخبرة إمكانياتها في المحلّ الأول. وبما أنّ خاصية هذا الجدول أن يكون محمولاً إلى الموضوع carried off into an object، فإنّ كلّ خبرة، بما خبرة، تتشكّل من تنظيم محتوى ذاتياً للخبرات. هذا يعني، في المقابل، أن ليس الموضوع وحده يكون وحدةً متشكّلةً أو صيرورةً، بل الجدول الزمني للوعي نفسه يكون أيضاً كذلك. ليس من قطب هوية identity pole يلتفتّ حوله التعاقب الزمني أو ينتظم فيه. كلّ ما هنالك فهو صيرورة، أو سيلان، أو جدول الخبرة الذاتية.

ثانياً، تُفهم الخبرات تحت عنوان المعية simultaneity، وهذا ما يدعو إلى سؤال حول 'جوهر' الزمان. فالخبرات لا تهبط من السماء معلّبةً وموضّبة. بالأحرى، فإنّ معنى (وبالتالي، خبرة) كلّ خبرة يتشكّل من لحظة خبرة راهنة تمتلك حولها هامشاً من الخبرات التي تسمو على أولية صورة-الآن للمضارع المطلق. من المستحيل فصل هامش الخبرات بالكلية عن الخبرة الأولية نفسها. لم لا؟ لأنّ هامش الخبرات، عند هسرل، هو بنفسه شرط إمكان عبور "الآن" إلى الحضور. ما يبدو أنّ هسرل بوارد قوله، متابعاً برنتانو في ذلك، هو أنّ الاتحادات الزمنية للخبرة تشكّل الهامش الأولي الواحد للأنا المجردة، أي، وعي-الآن [وعي الأنا بالآن] الأولي الكلي. وكما يلفت هسرل انتباهنا، فإنّ مسألة جوهر الزمان تقودنا مجدداً إلى مسألة "أصل" الزمان، التي بتنا الآن ندركها بحسب تداعياتها الأكبر:

توجّه مسألة الأصل [أصل الزمان] إلى الأشكال البدائية لوعي الزمان الذي تتشكّل فيه، حدساً وإطلاقاً، الاختلافات البدائية للزمني بما هي المصادر المنبعية originären لكلّ اليقينيّات بالنسبة إلى الزمان... بهذا السؤال الأخير، نحن نسأل عن المادة الأولية للإحساس، والتي ينبع منها الحدس الموضوعي بالزمان والمكان عند الفرد الإنساني أو عند كافة الأنواع. نحن غير معنيين بسؤال التكوّن الإمبريقي. ما يعيننا هو الخبرات المعاشة فيما يخصّ معناها الموضوعي ومحتواها الوصفي... نحن معنيون

بالواقع فقط بقدر ما يكون مقصودًا، متمثلًا، محدودًا، أو مفكرًا فيه مفهومياً. أمّا فيما يرتبط بمشكلة الزمان، فهذا ممّا يقتضي كوننا مهتمّين بخبرات الزمان المعاشة<sup>5</sup>.

### 3. الطابع الزمني للإدراك

كيما نستطيع أن نحقق في المنشأ أو التكوّن الماقبلي للزمان، علينا أن نتقدّم بتحقيق في التشكّل الجوهريّ لوعي الزمان فيما يتعلّق بكلّ فعل وإدراك. في أفكار، يلاحظ هسّرل أنّ كلّ تجربة تدخل كموضوع بؤرة التأمل الممكن تمتلك طابعًا زمنيًا خاصًا للصورة-الآن Now-form، المذكورة آنفًا. وإلا، فلا موضوع يُعطى أو يُؤخذ بما هو موضوع، بما هو وعي. هذا ما يعنيه هسّرل بالقصدية، أي إنّ ما "يُعطى" للخبرة يكون وصفًا محايثًا محضًا لما يعطى بالحدس الذاتي أو بالخبرة الذاتية. فالقصدية تصف الوعي بالمعنى 'الخصب'<sup>6</sup> للكلمة. إنّها تصف كلّ جدول الخبرة كجدول وعي واحد، كوحدة وعي واحد.

القصدية، هنا، تجلّ لخصوصية فريدة للخبرات؛ إنّها تقتضي كون كلّ فعل واع وعيًا بشيء ما. على نحو مماثل، فإنّ كلّ إدراك هو إدراك لشيء ما وكلّ حكم هو حكم على شيء ما. وسواء أكنّا نقيّم، أو نمتّى أو نتصرّف أو نتأمل، فإنّ جدول الخبرة المعيشة يشكّل وحدة هكذا عملية جذرية. على هذا النحو، نستطيع أن نعرّف منشأ الزمان كعودة إلى جدول الوعي نفسه. هذا ما يعني، بعبارات الفنونولوجيا الترنسندنتالية، أنّ الأنا المجردة (أو الترنسندنتالية) ليست موضوعًا أصلاً، بل هي الإدراكات بجمليتها. وبما أنّها [الأنا المجردة] قد تحتوي على موضوعات يكون "واقعها" معلقًا، فإنّ خصائص وعيها تصدق على أيّ عالم، حقيقيًا كان أو متخيلاً.

بالطبع، لم يكن هسّرل، في كلّ محاضراته حول الوعي الذاتي بالزمان، يشير إلى "أنا" معينة، مجردة أو إمبيريقية. بهذا المعنى، قد نستطيع أن نقول إنّ جان بول سارتر Jean-Paul Sartre هو أقرب إلى هسّرل المبكر من قرب هسّرل المتأخّر إلى نفسه. لسارتر، الأنا خيال محض؛ الأنا، كوحدة، متجاوزة transcendent. أمّا عند هسّرل المتأخّر، أي لهسّرل ما بعد 1913 (بعد إصدار أفكار)، فالأنا ليست متجاوزة transcendent، بل ترنسندنتالية transcendental، في حين أنّ العالم هو المتجاوز. نعم، عند هسّرل المتأخّر، فإنّ الأنا توصف، أفضل ما توصف،

<sup>5</sup> المصدر نفسه، الصفحة 28.

<sup>6</sup> هو يستعمل كلمة 'حيلي' في الأصل. المعرب.

بكونها 'مجردة' لا إمبريقية. هي تشكّل، بالتالي، البنية الأساسية لكلّ حقل ملاحظة. إنّ الأنا الترنسندنتالية هي فعل تأمل محض؛ الأنا المجردة من القبلات<sup>7</sup>.

بطبيعة الحال، فإنّ هسرل متى ما تقدّم باكتشافه للأنا المجردة إلى الوصف الفنونولوجي للتشكّل، فإنّ التدايعات فيما يخصّ مشكلة تكوّن الزمان تصير أكثر إبهامًا. فلننظر بمزيد تفصيل إلى عدد من النقاط الأساسية في تحليل هسرل. لكونها ترنسندنتالية، فإنّ الأنا شعاع استذكار حضور<sup>8</sup> retention يمرّ عبر سلسلة من الأفعال والإدراكات. العلاقة، إذًا، بين الأنا والموضوع غير قابلة للانفصام. فمن ناحية، تشكّل الأنا الترنسندنتالية وحدة كلّ الأفعال الواعية؛ تشكّل جدولًا متوجّهًا إلى الذات لوعي الزمان الذاتي. لكن من ناحية أخرى، فإنّ الموضوعي الذي يظهر في وحدته، يظهر فقط من خلال تحليل متوجّه إلى الموضوع. إذًا، فالمدرك-حين-فعله [فعل الإدراك] لا ينفصل عن الفعل المدرك. علميًا، ما يضطلع به هسرل في هذا المقام هو تمييز قروسطي (أرسطي)، قائلاً إنّ noesis-cogitatio هي غير noema-cogitatum وإن كانت لا تنفصل عنها. فالفنونولوجيا الترنسندنتالية تستكشف سبل تشكّل الموضوعات في الوعي. بل أكثر من ذلك، فمسألة تكوّن الزمان تلقي ضوءًا على كيفية تشكّل جوهر الخبرة كصيرورة أو كجدول توحيد للوعي الذاتي بالزمان.

أخيرًا، نحن ندنو من صميم المشكلة المتعلقة بمنشأ وتكوّن الزمان، بحسب تفسير هسرل الفنونولوجي. الزمان 'الكوي' يثبت الحركة، إنّهُ يقيس العملية التي بموجبها تتوسّط الموضوعات في الموضوعية ومنها وخلاها. فنونولوجيًا، في المقابل، ما 'الزمان الكوي' إلّا اختلاص rendering كرونولوجي للوعي، إنّهُ يقيس الـ"ما قبل" والـ"ما بعد" على عالم الأحداث والظهورات الموضوعي<sup>9</sup>. أمّا "الزمان الفنونولوجي" فشيء آخر تمامًا. ليس من موضوعات فردية (حقيقية أو متخيّلة) في الزمان الفنونولوجي بالمرّة. كلّ ما هنالك في الزمان الفنونولوجي هو 'سيلان' مجازي لنقاط

<sup>7</sup> بالطبع ليس هناك أكثر من أنا عند هسرل. ثمّة أنا واحدة، يمكن وصفها، إمّا إمبريقياً، أي وهي متحسّدة، مكتسبة لحمًا، كائنة في هذا العالم، وإمّا تجريدياً، أي كفكرة مجردة لما هو الشيء، في حال ظهوره.

<sup>8</sup> أنا ممثّل للدكتور نادر البرزي لمساعدته في ترجمة عدد من المصطلحات الخاصة بهسرل، ومنها هذا المصطلح. المعرّب.

<sup>9</sup> هذا موضوع رائع في نفسه بناءً، جزئياً، على تفسير أرسطو للزمن في مصطلحات 'الماضي' و'المستقبل'. في واقع الأمر إنّ ما يقوله هسرل هو وجوب أن يتدكّر الوعي الحدث كي يمتلك الحدث أيّ أهمية. وإلّا، فإنّ ما نشهده هو التغيّر وليس 'الزمان' بالمعنى الفنونولوجي اللائق الذي نحكي فيه هنا.

من الواقعية متتالية تصدر عنها كل 'الآن'. تقودنا مسألة منشأ الزمان، بالتالي، إلى فهم جذريّ لمعنى الفنونولوجيا الترنسندنالتيّة، بالتحديد، تكوّن الوعي الذاتيّ بالزمان. في كلّ فعل خبرة نكتشف محتويّ محايثًا. ما يصفه هسرل هنا هو صيرورة (أو سيلان) جذريّة للذاتية المطلقة. وهذا الجدول التوحيدويّ للخبرة هو شرط إمكان كلّ تجربة واقع معيشة.

في هذا الموضوع يكمن اللغز الأكبر فيما يتعلّق بتفسير هسرل لمنشأ الزمان وتكوّنه. كيف لذاك الترنسندنالتيّ حقًا أن يكون متشكّلًا ذاتًا ويكون، في الوقت عينه، مشكّلًا لذاته؟ ما هو حقًا ترنسندنالتيّ يجب أن يمتلك كمصدر له ما هو مطلق حقًا وحتّمًا، أي الوعي الذاتيّ بالزمان. لكن في حدود ما يظهر الوعي الذاتيّ بالزمان نفسه في البنية الأمامية لكلّ تجربة، فإنّه يقف في تقابل تامّ مع إمكانية أن يقبضَ عليه (يفهم) في كليته. إنّ ظهور الزمان يتطلّب أن يُعطى ككلّ بجملته، أي أن يُعطى تمامًا بما لا حدّ له. إلّا أنّ 'كلّ' الزمان هو بالتحديد ما لا يمكن أن يكون مُعطىّ أبدًا.

#### 4. "الآن" المتجدّدة

بعد مزيد تحليل، يتبيّن أنّ الفاعل أو 'الصورة' في الوعي الذاتيّ بالزمان، عند هسرل، ليس فاعلًا (إن صحّ القول) بالمرة. بل هو عملية جذريّة، هو إدراك، أو صيرورة، أو وحدة كليّة للجدول الزمنيّ. إنّ هدف هكذا عملية أو غايتها، بحسب هسرل، لا حدّ له. وبما أنّ مهمّة الوعي الذاتيّ بالزمان تتضمّن 'رؤية' كلّ عالم الظاهرات الحقيقيّة أو المتخيّلة موضوعيًا، فإنّ العمليّات نفسها تكون، أيضًا، معطىّ لا محدودًا بحسب كثرة المنظورات غير المحدودة. الوعي كوعي هو السيلان اللامحدود للأفعال والإدراكات. في الوقت عينه، في المقابل، ليس هذا السيلان اللامتناهي فوضويًا، بل هو منتظم. ما يعنيه انتظام زمنيّ كهذا هو أنّ الوعي كوعي يتمحور حول 'نقطة الآن' معيّنة. نخدم هذه 'الآن' كمصدر أوّلّيّ ينبثق بها العالم (الحقيقيّ أو المتخيّل) إلى المعنى.

إنّ منشأ الزمان، من ثمّ، يمكن أن يوصّف بالمعنى الفنونولوجيّ كصيرورة تأسيسية زمنيّة، كذاتية مطلقة. أضف إليه، إنّ كون هكذا توجه جذريّ معطىّ يمكن أن يعتبر وكأنّه يشكّل نفسه في وحدة زمنيّة؛ بالتالي، فإنّ منشأ أو تكوّن كلّ وحدة في الخبرة يكون دائمًا 'الآن-المضارعة' جديدة تنبع منها كلّ 'الآن' عند كلّ أفق. هذه 'الآن' للتوّ هي استنظار حضوريّ protension لـ'الآن-المضارعة' المترقّبة والتي تدخل حيّز الوجود حتّى حين تدخل 'الآن'



في الاستدكار الحضورِيّ. بالتالي، لا تكون، عند هسرل، 'الآن المتجدّدة' التي تشكّل وحدة الخبرة، لا تكون ساكنة [استاتيكية] أبداً. بالعكس، فإنّ تكوّن وحدة الخبرة يتشكّل من سيلان دائم، من وإلى 'الآن المتجدّدة' الفونومولوجية التي لا يمكن مساواتها بالزمان الموضوعي لأنها لا يمكن أن تُختبر طبيعياً.

بحسب هسرل، يجب على منشأ الزمان وتكوّنه أن يفسّر التغيير والمدة كلاهما. في مصطلحات التغيير، يمكننا أن نقول إنّ الزمان الفونومولوجي يفتقد لشيء يسعى إليه، أي، لتماخيه خبرته الذاتية الخاصة. إنّ هذا 'الافتقار' هو ما يسميه هسرل 'فهمًا apprehension'. فالوقت الزمنيّ، برأيه، يفتقر إلى 'الآن المباشرة' التي ترومها كلّ 'نقطة الآن'. ومن خلال عمليّات الاستدكار والاستنظار الحضوريين، يفترض الوعي الذاتيّ بالزمان كلّ ظاهرة متشكّلة كوحدة في الخبرة الذاتية. تكمن المفارقة في أنّ هذه الوحدة في الخبرة الذاتية تؤدي بـ'الآن تَوًّا' إلى الانهيار تحت وطأة عبئها. كبنية ترنسندناليتية للخبرة، فإنّ 'الآن تَوًّا' تكفّ عن كونها الآن 'تَوًّا' في نفس نقطة التوجّه التي تدرك فيها 'الآن المتجدّدة' دخولها في حيّز الوجود. بالتالي، فإنّ أثرًا من 'الآن تَوًّا' يُحتجز في كلّ خبرة توحيدية للجدول الحيّ. إلا أنّ هذا الأثر لم يعد 'الآن تَوًّا' بعد الآن. إنّه يستسلم على الدوام لصالح 'الآن تَوًّا' جديدةً لتدخل في حيّز الحضور، إنّهم يفهم الدخول في حيّز الوجود كتحوّل في الواجهة الزمنية. دوغما تحوّل ليس من إمكانية لجدول خبرة حيّ. مع هذا، فإنّ ما يجري اختباره في هذا الجدول الحيّ هو عملية توحيد ذاتية ترنسندناليتية جذرية. ما يستمرّ في الزمان الفونومولوجي، إذًا، هو الخبرة الذاتية لإدركات المظاهرات المتغيرة أبداً.

إنّ جدول الخبرة الحيّ يشكّل العالم في مظهر الاستدكار والاستنظار الحضوريين. لكن في حين يعطى الوعي المتسامي، فإنّ المتسامي ليس ترنسندناليتياً. أو، ربّما، في صياغة أخرى: فإنّ الزمان الأزليّ هو ما قبل تأمليّ، أي متشكّل constituted؛ في حين أنّ الوعي بالزمان الأزليّ تأمليّ، بالتالي مشكّل. ما يبدو أنّ هسرل يتّجه صوبه هو فكرة أنّ أصل الزمان الفونومولوجيّ تجعل ممكناً شروط الإدراك وفي الوقت عينه، تنتهك هذه الشروط بتشكيل الجدول-نفسه كحامل لكلّ شرط إمكان. لا يتشكّل الزمان الفونومولوجيّ من خلال مجموعة نقاط 'قبل' و'بعد'. الزمان الفونومولوجيّ لا يتغيّر؛ إنّه يستمرّ. إنّه يدرك محتويّ حتىّ حين يكون قيد الاختبار، لكنّ حتمًا ليس بالمعنى الإمبريقيّ.

فلنأخذ، على سبيل المثال، ابنة تسعة أشهر. فنومولوجيًا، لا حاكمية للإله خرونوس *Chronos* عليها، لا معنى عندها للزمان الكرونولوجي بالمرّة. الطفل يبكي عندما يكون جائعًا، لا عندما يحضر وقت 'الطعام'. أي إنّه يبكي عندما يكون جائعًا. والجوع ليس أمرًا يمتلكه الطفل أو يشعر به أو يتحسّسه، إنّه أمر يكونه، بعبارة فنومولوجية. وفي اللحظة التي يضرب فيها الجوع، يلتوي الجسد، وترجف القدمان ويرتفع الصوت، وتندقق الدموع ويندفع الدم إلى الوجه، وغيرها. ليس من هذه النشاطات ما يتشكّل بنتيجة عملية تفكّر ذهنيّة تأملية متأبّية. الجوع عند الطفل، إذًا، ليس متشكّلًا بقدر ما هو مشكّل.

في سياق مشابه، يكون اللحن أيضًا مشكّلًا. فلنأخذ، على سبيل المثال، إحدى أغنيات الأطفال المعروفة. كطفل، لا يصحّ أن نقول بحقّه إنّه "يفهم" الكلمات التي يسمعها، أو 'يقدر' اتّساق النغم أو 'يقبض' على أيّ بناء تركيبّي معقّد. مع هذا، فإنّ اللحن يأسره. إنّه يمتلكه ويجعله رهين سحره - إن صحّ القول. يجذبه اللحن إلى اختبار حالة جديدة من الوعي الرفيع بالعالم المحيط به. وعوض أن يكونَ الطفل هو الذي يشكّل اللحن بمعنى امتلاك نغم أو إيقاع ما، فإنّ اللحن - الذي يكون معه، إلى حدّ بعيد غير مؤتلف - هو الذي يشكّله. والطفل لا يمتلك فكرة عن أيّ من المفاهيم الواردة في الأغنية وإن كنت تراه يضحك ويصفّق ويرقص كلّما طوت الأغنية مقطعًا أو دخلت في موضوع جديد.

أرى أنّ ما مرّ يعرض بشكل منصف لما يحاول هسّرل أن يصفه عن طريق تحليله الفنومولوجي لمنشأ الزمان. ولأنّ اللحن ليس بموضوع حيّزيّ (له حيّز مكانيّ)، فإنّه يرتبط بوثاقة بالزمان. يعتمد هسّرل [حتى] إلى وصف زمانية الصوت؛ مثلًا، عندما تختفي (تموت) نغمة ما، فإنّها 'تموت' في اقتران مع ترقّب ظهور نغمة جديدة،

عندما يصدر لحن ما، مثلًا، فإنّ النغمات الفردية لا تختفي تمامًا عندما يتوقّف المنبّه أو يتوقّف ردّ فعل العصب المثار. عندما تصدر النغمة الجديدة، لا تختفي سابقتها دونما أثر؛ وإلا، لما كُنّا قادرين على ملاحظة العلائق بين النغمات المتتالية. لا بدّ من نغمة عند كلّ لحظة، وربّما في الفاصل بين صدور النغمة التالية مرحلّة فارغة *leere*، ولكن ليس أبدًا فكرة *Vorstellung* لحن... كلّ عرض ينضمّ بطبيعية إلى سلسلة عروض متتابعة يعيد كلّ واحد منها إنتاج محتوى سابقته لكن بنحو تكون فيه لحظة الماضي ملتصقة دائمًا بلحظة الجديد<sup>10</sup>.

<sup>10</sup> هسّرل، الصفحتان 30-31.

تسقط كلّ نعمة سابقة في الاستدكار الحضوريّ، وتنسى النعمات الأسبق إذ ينزلق إلى الصمت. لكن، لكي يكون للحن ما أيّ معنى، أي ليكون اللحن لحنًا عوض أن يكون نشازًا، فعلى كلّ نعمة تنسى أن تظلّ، في نفس الوقت، 'حاضرة' بمعنى من المعاني في وحدة موضوعيّة. بكلام آخر، ليس الامتداد أو الوقت، عند هسرل، مجرد عرض للنعمات يتلاحق في الوعي. فالنعمة التي تنزلق إلى الماضي عليها، والمفارقة هنا، أن تستمرّ، أي أن تشكّل الحاضر. وإلا، فبدل الاستماع إلى معزوفة ما، فكلّ ما نختبره يكون "شريط نغمات متعاقبة أو بلبلة أصوات غير متجانسة كما لو صدرت عن ضرب كلّ النوتات في لحظة واحدة"<sup>11</sup>. 'تستسلم' كلّ نعمة إلى الصمت في إدراك النعمة القادمة؛ إلا أنّ كلّ نعمة سابقة تمكث طويلاً قبل أن تدوي. في فعله هذا، فإنّ الاستدكار الحضوريّ يترقّب الحاضر، ويولّد 'الآن-توًا' جديدة، تدرك استمراريّة متنوّعة الشدّة والنوعيّة من خلال السريان المتناغم للاستدكار والاستنظار الحصريّين. يُحتجز 'الاستسلام' في ذاكرة الآن-المعيشة.

## 5. فعل الإدراك apperception: التوقع والوقت

فنومولوجيًا، يقتضي 'الترقّب [الترقّب الاستباقيّ anticipation]' جزءًا مشكّلاً لكلّ خبرة. خذ، على سبيل المثال، صمت قاعة الاحتفال في اللحظات التي تسبق الأداء الموسيقيّ. إذ يخفت الضوء، يقع الجمهور في الصمت. إنّه صمت يصمّ الآذان بالفعل، فهو يمتلئ بالترقّب الاستباقيّ في اقتران مع توقّع ما سوف يأتي. على وجه الدقّة، فإنّ مجيء هذه 'الآن المستقبلية' ليس بشيء بالمرّة، إنّه ليس. المعطى الفنومولوجيّ هنا هو الظهور المطلق ل'الآن المتجدّدة'. مع هذا، فإنّ الآن تحضر دائمًا تحت مظهر الاستدكار والاستنظار الحضوريّين. ما الذي يكتنفه هذا المظهر؟ على نحوٍ متتابعيّ: تظهر 'الآن'، وفي اتّحاد معها، أثر ل'ماضٍ' ول'حاضر'<sup>12</sup>.

وكما تشتمل وحدة الوعي على الحاضر والمستقبل من خلال الاستدكار، فإنّ وحدة الوعي تشتمل، أيضًا، على الحاضر والمستقبل من خلال الاستنظار. لاحظ، في المقابل، أنّ وحدة الوعي لا تقلص الماضي (أو المستقبل) إلى الحاضر. وإلا، فإنّ اللحظة الزمنيّة 'الماضي' يجب، بنفس المعنى الذي يكون فيه العنصر 'أحمر' الذي نختبره بالفعل،

<sup>11</sup> المصدر نفسه، الصفحة 30.

<sup>12</sup> لوصف أكثر تفصيلاً لهذا الموضوع، انظر، *The Phenomenology of Internal Time-Consciousness*، الصفحة 36 وما يليها.

أن تكون لحظةً حاضرةً لحبرةٍ مَعيشةٍ - "وهذا، بالطبع، سخف واضح" <sup>13</sup>. تفترض وحدة الوعي هذه، عند هسرل، معطًى فنومولوجياً، رغم كونه واضحاً في الإشارة إلى توليد تحليله عند هذا المفصل لعدد من الاعتراضات على عدم قدرة برنتانو على التمييز (بخصوص نفس هذه النقطة) بين الفعل والمحتوى. بالتالي، يجب فهم ما يسميه هسرل 'اللحظة الزمنية' من خلال، بعبارات فنومولوجية، 'عروض supervenience' اللحظة، أي من خلال ما هو مدرك أو متشابك مع ما يسميه هسرل نزح *Ablauf* المحتويات الأخرى والكيفيات والكتافات، وغيرها،

نحن نرى، بالنتيجة، أن لا جدوى تترجى من تحليل للوعي بالزمان يأخذ حيزاً زمنياً حدسياً مفهوماً فقط من خلال التدرج المستمر للحظات جديدة تضم إلى أو تتلاشى بعيداً عن لحظات المحتوى التي تشكل الكيان الموضوعي المتموضع زمنياً *Gegenständliche*. باختصار، إن صورة الزمان ليست - بنفسها - محتوى الزمان ولا هي مجموع المحتوى الجديد المضاف إلى محتوى-الزمان بنحو أو بآخر. <sup>14</sup>

فلنعد، مجدداً، إلى المثال السابق الذي مرّ أعلاه. رغم أن لحظة الصمت في الصلاة قبل أن تنطلق الأوركسترا تكون فارغةً، فإن اللحظة تكون، مع ذلك، حُبلى بالترقب الاستباقي. إن المضارع الفارغ 'يترقب' صوت 'الذي سوف يأتي، متساوفاً مع ما كان للتوّ. بالفعل، هذا ما يعني أن كلّ فرض *Setzung* يجب استثناءؤه أو تعليقه كي يؤخذ 'الصوت' على أنه معطًى ماديّ. "إنّه يبدأ ويتوقّف"، يكتب هسرل، "وكلّ وحدة مدّته، وحدة العملية التي فيها يبدأ وينتهي، تستمرّ إلى النهاية في الماضي المتباعد أبداً" <sup>15</sup>. لكن ما الذي يرمي إليه هسرل بهذا الغرق إلى 'الماضي المتباعد أبداً'؟ لهسرل، أنا 'أحتجز' الصوت في 'الاستدكار الحضورى'، وطالما استمرّ الاستدكار؛ فللصوت "زمنه الخاص". بكلام آخر، ما يصفه هسرل هو نوع من الإيقان الإدراكي *apperception*، أي، الكيفية التي تُعطى بها الموضوعات الزمنية-المحايشة *Zeitobjekte* أو 'تظهر' في سيلان دائم. من وجهة نظر سيلان الوعي، فإن نفس هذا الصوت المسموع الآن هو ماضٍ، لقد انتهت مدّته. تتراجع نقاط الوقت الزمني، 'يختفي [الصوت] في غياب الوعي' <sup>16</sup>.

<sup>13</sup> هسرل، الصفحة 38.

<sup>14</sup> المصدر نفسه، الصفحتان 39-40.

<sup>15</sup> المصدر نفسه، الصفحة 44.

<sup>16</sup> المصدر نفسه، الصفحة 45.

خلال كلّ عمليّة سيّلان الوعي، يكون الجدول الذاتيّ للوعي واعياً لنفس الصوت المستمرّ، كأنّه مستمرّ في مسار 'آنا' متعاقبة. إذا، تكون 'آن المستقبل' مترقّبة دائماً كعنصر مشكّل لكلّ وحدة في الوقت. لكن، رغم أنّ أثرًا من 'الليس بعد' يكون مترقّبًا، فإنّ هذا التوقّع لا يعرّف الآن المعيشة. 'الليس بعد' المستقبلية تكون محسوسة، إنّها تأسيسية، إنّها شرط إمكان الخبرة؛ ولكنّها ليست حاضرة، بعد، بنفس الدرجة التي تشكّل بها 'الآن المتجدّدة، سيّلان الموضوع الزمنيّ الحايث. يتكلّم القديس بولس، كذلك، عن الأشياء الحايثة في رسالته إلى القولسيين. هنا يسمّي بولس أشياء الزمان الحاضر "ظلّ الأمور العتيدة"<sup>17</sup>. فالبنية المشيحيّة لعصر الحجيء المتوقّع لها جذورها في اللحظة الحاضرة: اليوم هو يوم الخلاص salvation. للقديس بولس، المستقبل هو ليس-بعد، ولكنه ليس 'ليس-بعد' بالكامل. فبتشكّلها من بنية إيقان إدراكيّ وترقّب استباقيّ، تظهر 'الليس بعد' كحدث مشكّل. المستقبل يشكّل الحاضر من خلال التوجيه الملائم ل'الآن المتجدّدة' صوب ما هو لامتناه ومُتسام، أي صوب مستقبل يتخطّى قبضة 'العصر الحاضر'. بنحو متّصل، يشكّل الاستدكار والاستنظار الحضوريان، معًا، اللحظة الحاضرة عبر التوجيه الملائم ل'الآن المتجدّدة' ككيان موضوعيّ متموضع زمنيًا Gegenständliche. فنومولوجيًا، يولّد الاستدكار والاستنظار السيّلان الترتسندنتاليّ للخبرة الذاتية.

هذه الخبرة المزدوجة بالاستدكار والاستنظار، أي خبرة التوقّع والتوقيت (المتّجهة إلى الخلف وإلى الأمام)، تكون مشكّلة بمعنى أنّها تتوقّع 'الحاضر' البنيويّ لكلّ خبرة ب'الآن تَوًا'. فالترقّب الاستباقيّ، كبنية إدراكية، قد بدأ بالفعل بتحويل 'العصر الحاضر'. إلّا أنّ هذا الإدراك (الإيقان الإدراكيّ) هو مجرد ظلّ، وأثر، وفاصلة جبلي قبل بدء الأوركسترا. وبنحو مشابه للقديس بولس، فإنّ هسرل، أيضًا، يتوقّع 'الليس بعد' التي لم تحضر تمامًا (رغم أنّها مترقّبة بشوق) والتي، في الوقت عينه، تحتفظ بأثر لما-كان-للتوّ-ولكن-لم-يعد-حاضرًا-بعد. وإلّا، تكون كلّ 'الآن تَوًا' هي كلّ ما هنالك، ما يطيح بكلّ خبرة وإمكانية فهم. بالفعل، إنّ هسرل يقول بأنّ الوعي الذاتيّ بالزمان يعيّن حدود أصل الزمان والمعنى ومنشئهما. إذا، ف'الآن المطلقة' (بعبارة فنومولوجية)، يمكن تبريرها ب'تعليق' بنية الزمان الكويّ. ولكن بالقدر الذي ينتهك فيه الزمان الموضوعيّ، فإنّ ما نكتشفه هو البنية الماهوية للوعي، أي السيّلان المستمرّ أو الصيرورة للاستدكار والاستنظار الحضوريين. من دون الوعي الذاتيّ بالزمان، لا يمكن وجود القبل والبعده، إذ لن يوجد

<sup>17</sup> القولسيون، الجزء 2، الصفحتان 16 و17.

للإيقان الإدراكيّ سيلان. الزمان الموضوعي، إذًا، هو عادة سيكولوجيّة، إنّه متركّب على أساس الوضع الطبيعيّ. القصدية، بالتالي، لا تفكّك الزمن. بل هي تأخذ 'الزمن' ككلّ، كوحدة، ككلياتيّة، وتوضّح كلّ ما هو مضمّر وتجليه وتكشف عنه.

بحسب تحليل هسّرل الوصفيّ، فالقصدية تفسّر 'الآن تَوًّا'؛ إنّها توضّح كلّ ملاحظة وكلّ حرف من خلال ترقّب ما أتى قبلاً وما سيحيي في جدول الخبرة الذاتية. من دون الاستدكار والاستنظار الحضوريين، كلّ ذلك الذي كان سيكون هو لغو، إذ حتّى 'الاشيء' هو مفهوم متشكّل من جدول الخبرة الذاتية. (لذا يبيّن هسّرل أنّ الفاعل المطلق الحقّ، 'الشيء' الوحيد الذي يتخطّى دمار العالم، هو الوعي الذاتيّ بالزمان)<sup>18</sup>. إنّ قواعد الاستدكار والاستنظار الحضوريين الشكلية والصناعية تولّد منشأ الزمان الفنونولوجي وأصله. من دونها، لن يكون الوعي الذاتيّ بالزمان قادرًا على تشكيل الحقل الشاسعة للأفعال المتعدّدة في خبرة توحيدية للموضوعية القصدية.

#### الخلاصة

خلال كلّ نقاشنا، كان من المهمّ أن نلاحظ أنّ الآن المتحدّدة ليست جسيمًا ذرّيًّا أو لحظة منعزلة كإطار في بكرة فيلم سينمائيّ قديم. بل الآن المعاشة هي صيرورة، سيلان محض يشكّل العلاقة المساوية بين ما هو ماض مباشر (استدكار) وما هو قادم مباشر (استنظار). يسمّي هسّرل مبدأ التشكيل الزمنيّ هذا 'transitivity'، أي 'لكلّ زمان ينتمي ما قبل وما بعد'<sup>19</sup>. هذه الوحدة الجوهرية للاستدكار والاستنظار تشكّل ذوبانًا أو دمجًا لجزء في جزء. بالتالي، كلّ استدكار فيه شيء من استدكار... من استدكار... من استدكار... تمامًا كما أنّ كلّ استنظار يترقّب أو يدرك هامشًا لما ليس بعد ولكن على وشك أن يكون. ما هو على وشك أن يكون وما كان للتوّ يؤلّفان وحدة متماسكة من الخبرة التي تشكّل جدولًا حيًّا من الخبرة الذاتية.

إنّ المسألة المرتبطة بأصل الزمان وتكوّنه عادت بنا مجددًا إلى أوّل الدائرة، إلى فهم مفاده أنّ وحدة الوعي الذاتيّ بالزمان تشكّل كلّ عالم كثرة الأفعال والخبرات. إلا أنّ هذه الوحدة الذاتية ليست، من ناحية أخرى، سيلانًا

<sup>18</sup> لمزيد من التفصيل في هذا النقاش، انظر الفقرة 83 من كتاب *Ideen*.

<sup>19</sup> هسّرل، الصفحة 29.

محضًا يصل بنا إلى الفوضى في النهاية. بل إنَّ هذا السيلان محكوم بالقواعد الصوريّة الصناعيّة. وأهمّ قواعد الوعي الذاتيّ بالزمان هي الاستدكار والاستنظار الحضوريتان والترقّب الاستباقيّ. بالفعل، إنّه فقط من خلال الوعي الذاتيّ بالزمان يتفتح العالم لنا بما هو عالم، في مقابل الوصف 'الزميني' المجرد لتكشّف الأشياء الموضوعيّة في الوضع الطبيعيّ. كما أنّ سؤال هسرل حول أصل الزمان يدفع إلى السؤال حول معنى البنية الترنسندنتاليّة للمعرفة. كيف تُبنى أو تتشكّل المعرفة بالموضوعات ومعناها ومحسوسيّاتها؟ بكلام آخر، إلى أيّ مدى تقتضي مسألة أصل الزمان، وهي تشمل على إمكان الخبرة، "عودةً إلى المعطيات الفنومولوجيّة التي يكون منها كلّ ما يختبر متشكّلًا فنومولوجيًا؟"<sup>20</sup>.

يولّد الوعي الذاتيّ بالزمان سيلانًا توحيدياً من الخبرة الذاتيّة. إلّا أنّ هذه 'الوحدة'، ليست شيئًا، وليست قطب هويّة، ليست شيئًا بمعنى res. إنّ سيلانَ هذا الجدول هو سيلان مشكّل، يشكّل الأفق الذي تنتمي إليه قصديّة الأشياء. بالتالي، تقف الشجرة خارج نافذتي، إنّها تشكّل مظهرها بالنسبة إليّ، إنّها تعرض نفسها في وحدة وتناغم. ولكننا نصل إلى التناغم الموضوعيّ حول ما نراه بالموافقة على أنّ ما نراه هو هناك، حاضر، أمامنا. بالتالي، ما يكتشفه هسرل بواسطة الاختزال إلى الزمان الفنومولوجيّ هو إمكان كلّ الأشياء.

من ثمّ، فإنّ هسرل يقصد بالموضوعيّة الخبرة 'الأصليّة'، أي المعيار الحدسيّ والملائم لتقييم الخبرة. "إنّ مسألة الأصل"، يجادل هسرل، "تتوجّه نحو الصور البدائيّة لوعي الزمان حيث تتشكّل التفاوتات البدائيّة للزمن، حدسًا وإطلاقًا، كمصادر مولّدة Originäreen لكلّ اليقينيّات بالنسبة إلى الزمان"<sup>21</sup>. بكلام آخر، لا علاقة لمسألة أصل الزمان ومنشئه بالحالات النفسيّة والعقليّة للأشخاص التجريبيين، أو بالزعة النفسيّة أو الفطريّة المتطرّفة. على العكس من ذلك، ما يكتشفه هسرل بتحليل أصل الزمان وتكوّنه هو الزمان الفنومولوجيّ، أي الماقبليّ، الخبرة المعاشة للوعي الماقبل-تأمليّ. إنّ أصل الزمان عند هسرل مشكّل، إنّ سيلانَه المحض يشكّل الزمان من خلال تكوّن تاريخيّ للخبرة الذاتيّة. في محاضرات 1905 يصف هسرل أوّلًا أصلَ الزمان كصيرورة أو سيلان أو جدول حيّ يشكّل الوعي من خلال 'آثار' من الاستدكار والاستنظار تقبع عند هامش كلّ آن متجدّدة. لكن في وقت صدور كتاب أفكار عام 1913، فإنّ هسرل كان قد بدأ بالابتعاد عن ميوله الواقعيّة. الآن، بدأ يصف تكوّن الزمان بمصطلحات

<sup>20</sup> هسرل، الصفحة 27.

<sup>21</sup> المصدر نفسه، الصفحة 28.

الفنومولوجيا الترنسندنالتية، بالتحديد، في علاقته بقوانين الوعي حيث السيلاان أو حيث يتشكّل جدول الزمان الذاتي. وفي حين يجادل هسّرل في محاضرات 1905 بأنّ الوعي الذاتي بالزمان ماقبل-تأمليّ (أي متشكّل أو يشكّل)، فإنّه لاحقاً يبدأ بنقل تحليله في العشر الثانية من القرن المنصرم ليقول إن الوعي الذاتي بالزمان هو تأمليّ (أي مشكّل أو يشكّل). هذه النقلة في التوصيف الهسّريّ لأصل الزمان ترمز إلى النقلة الأكثر إشكالية في رؤية هسّرل المبنية حول مدى المشروع الترنسندناليّ نفسه وغايته (فلنقل، ما بين 1905-1915). بالفعل، فإنّ تطوّر تحليل هسّرل لتكوّن الزمان يعكس اهتمامه المتزايد بالمثالية الترانسدانتالية.